ملحمة عمر

الولاة والرعية

علي احمد باكثير

دار البيان
الكويت

ملحمة عمر - ١٦

الناشر: دار البيان - ص.ب ٢٠١٧ - الكويت

٣٥٠ فلس كويتي

ملحمة عُمَر

١ - على أسوار دمشق
٢ - معركة الجسر
٣ - كسرى وقيصر
٤ - أبطال اليرموك
٥ - تراب من أرض فارس
٦ - رستم
٧ - أبطال القادسية
٨ - مقاليد بيت المقدس
٩ - صلاة في الايوان
١٠ - مكيدة من هرقل
١١ - عمر وخالد
١٢ - سر المقوقس
١٣ - عام الرمادة
١٤ - حديث الهرمزان
١٥ - شطا وارمانوسة
١٦ - الولاة والرعية
١٧ - القوي الأمين
١٨ - غروب الشمس

موقع الأديب
★ علي احمد باكثير ★
www.bakatheer.com

ملحمة عمر

الوحدة والرعيلة

علي احمد باكثير

دار البيان
الكويت

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشر
دار البيان
ص.ب: ٢٠١٧ - برقيا: تربن
الكويت

الطبعة الأولى
١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المشهد الأول

« في دار عمرو بن العاص بالفسطاط »

عمرو : (يدخل غاضباً) رَيْطة ! رَيْطة !

ريطة : (تدخل) لبيك يا أبا عبدالله .

عمرو : أين ابنُك محمد ؟

ريطة : اني لأراك غاضِباً . ما خطبك ؟

عمرو : أين هو ؟

ريطة : تسألُني ؟.. أنا أحْرَى أن أسألَك عنه لأيِّ شيء تريدُه ؟

عمرو : أريد أن أؤدبَه .

ريطة : ماذا فعل ؟

عمرو : ألا تعلَمِين أنت ماذا فعل ؟

ريطة : انّى لي أن أعلم ماذا فعل ؟

عمرو : لا بد أنه أحدَثَ حدثاً فقد كتب اليّ أميرُ المؤمنين فيه وأمرني ألا أضَعَ ثيابي حتى أقدُمَ به عليه .

ريطة : في المدينة ؟

عمرو : ويحك أين يكونُ أميرُ المؤمنين إلاّ في المدينة ؟

ريطة : رويدك ، انك لتغلِظُ لي في الكلام كأنّما أنا التي أحدثْتُ الحدَثَ .

عمرو : انت دلّلْته فافسَدْته بتَدْلِيلِك والله لأؤَدبنه ولأوجعنّه .

ريطة : ها هو ذا قد أقبل مع وردان فأدّبه كما تشاء حتى لا تُلْقِيَ تَبِعتَه على ظهري .

(يدخل وردان ومحمد بن عمرو)

عمرو : أين وجدتَه يا وردان ؟

وردان : في المِضْمَار يتسابقُ .

عمرو : أليس لك من عمل آخرَ غيرَ السباق يا لُكَع ؟

محمد : ماذا جَنَيْتُ يا أبت فتَشْتُمَني ؟

عمرو : خبرني أنت ماذا جَنَيْتَ ؟

محمد : لا والله يا أبت ما جنيت شيئاً .

عمرو : فعلامَ أمرني أميرُ المؤمنين أن أقدُمَ بك عليه ؟

محمد : ماذا يصنُع بي أميرُ المؤمنين ؟ لعله طلب عبدَ الله بن عمرو .

عمرو : بل طلبك أنت .

محمد : اكتب اليه يا أبي تستوضِحْه .

عمرو : قبحَ الله رأيك ! تريد أن أعْصِيَ أمرَ عمر ؟

ريطة : أخبِرْ أباك يا بُني .

محمد : بأي شيء يا أمّه ؟

ريطة : بالذي أغضبَ أميرَ المؤمنين منك .

محمد : ماذا عَسَى أن يُغضِبَه مني وهو بالمدينة وأنا بمصرَ ؟

عمرو : سلْهُ هذا السؤالَ غداً اذا علاكَ بِدرّته.

محمد : (في خوف) ماذا قال لك عني يا أبي في كتابه ؟

عمرو : ويلك لوقد قال ما سالتُك .

محمد : وأنا لو أعلم شيئاً لأجبتُكَ .

عمرو : وردان . اني لأرى في عيْنيْك أن عندك علماً فتكلم .

وردان : ليس عندي يقينٌ يا أباعبدالله ولكني أظن ظناً .

عمرو : فهاتِ ماذا عندك ؟

وردان : في سباقِ الخيلِ الكبير الذي أُجْرِيَ منذ شهرين تلاَحى محمد بن عمرو وفتىً من القبط فما كان من محمدٍ الا أن لطَمَه وقال

له خُذْها وأنا ابن الأكْرَمِين ؟

عمرو : فعلتَهَا يا محمد ؟

محمد : نعم يا أبت وقد ندِمْتُ على ما فعلت ولن أعودَ لمثلها .

عمرو : ويلك يا ابن السُّوء أتريد أن تَهْدِمَ كل ما بَنَيْتُ ؟ أتريد أن يعزِلَني أميرُ المؤمنين ويُولّيَها غيري ؟

محمد : ما كنت أعلم أن ذلك سيبلغ أميرَ المؤمنين.

عمرو : ويلك ألا تعلم أن لأمير المؤمنين عُيُوناً في كل مكان يبلِّغُونه الاخبارَ ؟

محمد : لقد كنا واقفين بعيداً عن المِضْمَارِ ولم يرَنا أحدٌ اذْ لطمتُه .

عمرو : أليس لهذا الفتى القبطي لسانٌ ؟

محمد : ويشكوني تَوّاً الى أمير المؤمنين ؟

عمرو : لِمَ لا ؟ ان أمير المؤمنين ليشجع الناسَ على ذلك .

محمد : لقد غاظَني الفتى يا أبي فلم أملك أن لطمته ؟

ريطة : ماذا فعل لك يا ولدي ؟

محمد : دَأبَ طولَ السِّباق على مُلاحَاتي . كلما قلت : جوادي هو السابقُ قال لي كذَبْتَ بل جوادي .

ريطة : فهَلاَّ قلتَ له : كذبت كما قال لك ؟

عمرو : (ساخراً) ابنُ الوالي على مِصْرَ ، فله ان يفعل بالناس ما يشاءُ . خذها وانا ابن الاكرمين . والله لئن بلغ عمرُ هذا الذي قلتَه ليلمِزنّني بها ما حَييت .

ريطة : لكن من الذي كتب للفتى القبطيّ الى امير المؤمنين ؟

عمرو : أهذه عقَبَةٌ ؟ كثير من القبط اصبحوا اليوم يكتبون العربيةَ .

ريطة : لم لا تبعث الى الفتى فتَستسمِحه

لابنك ؟

عمرو : صدقت يا أم عبد الله . تعرفُ مكانَه يا وردان ؟

وردان : نعم .

عمرو : انطلِقْ اليه فقلْ أجِبْ الاميرَ .

وردان : لن أجدَه يا أبا عبد الله .

عمرو : لا ترجعْ اليّ حتى تجدَه .

وردان : هو الآن عند امير المؤمنين في المدينة .

عمرو : ويلك كيف عرفتَ ؟

محمد : سألتُ عنه اليوم فقيل لي انه رحل مع وفدِ مصرَ الى امير المؤمنين .

عمرو : مع وفد مصر ؟ ويل لابي رافع ! كيف أذن لذلك الفتى ان يذهبَ معهم دون أن يخبرني ؟

ريطة : لا شك أن ابا رافع هو الذي شجّعَ الفتى على شكواه .

محمد : من اجل انه قِبطيٌّ مثله .

(يدخل عبد الله بن عمرو)

عبدالله : كذبت يا لُكَع . بل من اجل انه مُسْلِم يغَارُ على الاسلام أن تشوّه انت صورتَه عند اهْلِ مصْر .

عمرو : سمعتَ حديثَنا يا عبدالله ؟

عبدالله : من اوله الى آخره . شَغَلْتُمُوني عن قُرآني .

عمرو : فماذا تَرَى ؟

عبدالله : ليس لك مع امير المؤمنين سبيلٌ الا ان تطيعَه كما امرك .

وردان : انتم الجناةُ على أنفسكم . هلاّ قصَرْتُم هذا السباقَ على أنفسكم دون ان تُشْرِكوا فيه القبط .

عمرو : ويلك من كان من اهل الذِّمّة فله ما لنا وعليه ما علينا فبايٍّ حق نمنعُه ؟

وردان : حتى لا يحدُثَ بيننا وبينهم مثلُ هذا الذي حدث .

عمرو : انما هذا فعلُ غِرٍّ سفيه فعلينا ان نؤدبَه لا ان نمنعَهم حقَّهم من اجله .

عبدالله : هذا بلدُهم يا وردان ونحنُ مقيمون في بلدهم بأمر الله فكيف نعْصِي أمر الله فيهم ؟

ريطة : اذهب اليه وحدك يا أبا عبدالله واترُكْ محمداً حتى يسألَك عنه فلعله أراد أن يستَشِيرك في بعض الشؤون التي تكلّمَ فيها مع الوفْدِ .

عمرو : ويحك أتريدين أن تنقذي ابنَك وتُلْقِي بزوجك في الهَاويَة ؟ لا والله لآخُذَنّه معي وليفعلْ به أميرُ المؤمنين وبي ما يشاء .

المشهد الثاني

في ميمنة المسجد النبوي الشريف حيث يجلس عمرُ ليفْصِلَ في شؤون الناس .

يُرى عمر جالساً وأمامه سعد بن ابي وقاص عن اليمين والجرّاحُ بن سِنَان الأسدي في جماعة من قومه عن الشمال .

سعد : يا أمير المؤمنين لا ينبغي أن تصدِّقَ فِيَّ كلامَ السفهاء .

عمر : مَهْ يا سعد. اكفُفْ لسانَك عنهم ؟

سعد : فما بالهم لم يكفوا لسانهم عني ؟

عمر : ذلك ما أنظر فيه الساعة حتى أرى وجْهَ الحق فيما اتَّهموك به. (يلتفت الى محمد بن

مسْلمة الجالس قريباً منه) يا محمد بن مسلمة هل وجدت في الكُوفَةِ من يطعن في سَعْدٍ غيرَ هؤلاء الرَّهْطِ ؟

ابن مسلمة : لا يا أمير المؤمنين كلهم يثني عليه خيراً ما خَلاَ هؤلاء .

عمر : يا جراح بن سنان. انت الذي توليت كِبْرَ الحَمْلةِ على سعد ؟

جراح : انا وهؤلاء الرهْط من قومي يا امير المؤمنين ولولا ما اوْجَب اللهُ علينا من النصيحة لجماعةِ المسلمين لسكَتْنا فكان السكوتُ اجدَى علينا واسلَمَ .

عمر : وسائرُ أهلِ الكوفة أليسوا ناصِحِين لجماعة المسلمين ؟

جراح : اللهُ أعلمُ بهم يا أمير المؤمنين وحسابُهم على الله.

عمر : الا تعلمُون ان سعداً بن أبي وقّاص من السابقين في الاسلام وممن تُوُفِّي عنهم

النبي وهو عنهم راضٍ ؟

جراح : بلى نعلم ذلك يا امير المؤمنين ولعل ذلك هو الذي اسكتَ غيرَنا من اهل الكوفة عنه. اما نحن فقد رأينا الإنكار عليه اوجبَ لمكان القُدْوَة فيه .

عمر : انت الذي يقول عنه انه لا يُقَسِّمُ بالسَّوِيّة ولا يعْدِل في الرعِيّة ولايغزو في السريّة ؟

جراح : اجل يا امير المؤمنين هو كذلك وهؤلاء الرهطُ يشهدون معي على ذلك .

الجماعة : اجل يا امير المؤمنين .

سعد : هؤلاء متواطئون معك .

جراح : هاتِ لامير المؤمنين شاهداً واحداً يشهدُ علينا لك .

جفينة : (ينهض من مجلسه) انا يا امير المؤمنين اشهد لسعد

عمر : من تكون ؟

جفينة : أنا جُفَيْنة العبادي صاحبُ سعدوصديقُه وأعرف الناس به واشدّهم ملازَمةً له .

عمر : مسلم انت ؟

جفينة : نعم يا امير المؤمنين . كنت نصرانياً فهداني اللهُ الى الاسلام .

عمر : ماذا تشهد لسعد ؟

جفينة : اشهد انه يقسم بالسوية ويعدل في الرعية ويغزو في السرية .

عمر : ويحك ما زدت على ان اخذت السجعة فقلَبْتَها !

جراح : يا امير المؤمنين اتكذّبُنا وتصدق هذا الذي كان علْجاً منذ ايام ؟

جفينة : سامحكم الله ماذا يمنعكم ان تسبُّوني وقد سبَبْتم صاحبَ رسول الله ؟

عمر : اجلس يا جفينة (لسعد) احقاً يا ابا

اسحاق هو صاحبك وصديقك ؟

سعد : نعم يا امير المؤمنين .

عمر : وأعرف الناس بك واقربهم اليك ؟

سعد : هو ظِئْرٌ لي يا امير المؤمنين ومُؤدِّبٌ لاولادي يعلمهم القراءةَ والكتابةَ .

عمر : وماذا قلتم في صلاة سعد ؟

جراح : ما قلنا عنها الا انها تختلِفُ عن الصلاة التي عرفناها من مَشْيَخَةِ الصحابة .

عمر : ويلك افْصِحْ ! الم تزعموا انه لا يحسن يُصَلّي ؟

جراح : بلى يا امير المؤمنين انه ليُطِيلُها حيناً حتى يَضِيقَ بها المصلُّون ويخفِّفُها حيناً حتى انهم ليلهَثُون وراءه .

عمر : كيف تصلي يا ابا اسحاق ؟

سعد : يا امير المؤمنين اتصدِّقهم حتى في الصلاة ؟

عمر : اجب يا ابا اسحاق كيف تصلي بالناس ؟

سعد : أطيلُ الاوليَيْن وأخفف الاخيرتين .

عمر : ذلك الظن بك يا ابا اسحاق

سعد : يجهلون السنة ياأمير المؤمنين فيُنكِرُونَها عليّ

عمر : ويحكم هكذا كانت صلاةُ رسول الله ﷺ . وتقولون ان الصيدَ يُلْهِيه ؟

جراح : نعم يا أمير المؤمنين وكل الناس يعلم ذلك.

عمر : عن اي شيء يلهيه ؟

جراح : عن كلِّ شيء .

عمر : عن حق لله عليه او حق للناس ؟

جراح : لا جرم يا امير المؤمنين .

عمر : اجب . هل غابَ عن صلاةٍ له قط او قصدَهُ أحدٌ في مجلسه فلم يجدْه ؟

جفينة : (ينهض) انا اجيبك يا امير المؤمنين . ان سعداً لا يخرج للصَّيْد الا يوم الجمعة .

عمر : يوم الجمعة ؟ .

سعد : يعني يا امير المؤمنين اني اخرج في السَّحَر من ليلة الجمعة فما يَمْتَنِع الضُّحى الاّ وقد فَرَغت من صيدي وعدْتُ الى بيتي .

جفينة : اجل يا امير المؤمنين هو ذاك واني لأخرج احياناً معه .

عمر : ويحكم ليس في هذا الصيد من بأس .

جراح : لقد ظننا يا امير المؤمنين ان ليس لوالي المسلمين ان يتلهّى بالصيد فان رأيت ألا بأس بذلك فرأيك الأصْوَبُ ولكنا نَنْشُدُك بالله الا ما وَلَّيْت علينا غيرَه فانا لن نأمَنَه بعدما شكوناه اليك .

عمر : اللهم انا نعوذُ بك من كل مُنافِقٍ عليمِ اللِّسان . من استخْلَفْتَ على الكوفة يا سعد ؟

سعد : عبدالله بن عبدالله بن عتبان .

عمر : اخترت فاحسنت فليكن هو على الكوفة

مكانَك .

سعد : أتعزِلُني يا امير المؤمنين كانما صدقت ما قالوا فيّ ؟

عمر : كلا يا ابا اسحاق لولا الاحتياطُ لكان سبيلهم بيّناً .

سعد : يا امير المؤمنين اليس بحسبك دليلاً على ما عندهم من الشر نهوضُهم في هذا الامر وقد استعدّ لنا من الاعاجِمِ من استعد ؟

عمر : بلى يا سعد ، ولكن ذلك لا يمنعني وايم الله من النظر فيما لديهم ولا من اتّباع الحَيْطَة بعد ذلك ، ألاّ تنشَقّ كلمة المسلمين وقد جمع لهم عدوُهم ما جمع .

الجراح : جزاك الله خيراً يا امير المؤمنين . هذا الخطَرُ والله هو الذي حملنا على التعجيل بشكوى اميرنا اليك .

عمر : الله اعلم بما في سرائركم . ارتفعوا الآن عني

وايّاكم ان تعودوا لمثلها . والذي نفسي بيده لئن شغبتم بعدها على والٍ لي لأجعلنكم نكالاً لغيركم .

(يخرج الجراح وجماعته)

سعد : اذن فسيّرني يا أمير المؤمنين مع الجيش فانّ لي بفارس وحربها خبراً .

عمر : ليس من الخير ان ابعثك في هذا الوجه بعد الذي كان ولكن تبقى عندنا يا ابا اسحاق وتشير علينا فيما يعنينا من امور العراق .

سعد : اني اريد يا امير المؤمنين ان اجاهدَ في سبيل الله فابعثني وأمِّر غيري .

عمر : لقد فتح الله العراقَ والمدائنَ على يديك ، فبحسبك ذلك . دَعْ شيئاً لغيرك ممّن لم يبلوا بلاءك . تعال معي يا ابا اسحاق .

سعد : الى اين يا امير المؤمنين ؟

عمر : انت ضيفي اليوم .. انت ومحمد بن مسلمة

(يأخذ بيديهما) هلم .

(يخرج الثلاثة ويخرج الناس ماخلا جفينة فانه يتلبّث في المسجد كأنما ينتظر قدوم قادمٍ واذا جراح بن سنات يدخل متسلّلاً فيدنو منه)

الجراح : انت راحل معنا يا جُفَيْنة ؟

جفينة : كلا انا باقٍ مع سعد

الجراح : وبقية أجرنا ؟

جفينة : قد أحضرتُه معي فخُذْه (يناوله كيساً من الذهب)

الجراح : الف دينار ؟

جفينة : ألف دينار

الجراح : كاملة ؟

جفينة : تَشُكُّ في امانتي يا جراح ؟

الجراح : معاذ الله يا جفينة .

(يتسللان خارجين)

المشهد الثالث

ميمنة المسجد النبوي الشريف
يرى عمر جالساً وحوله كبار الصحابة من اهل الشورى وغيرهم وأمامه ابو رافع ومن معه من وفد القبط من ناحية اليمين وعمرو بن العاص وابنه محمد من ناحية الشمال .

عمر : أتمِم يا داود .

داود : فلم يكد يسمع ذلك مني يا امير المؤمنين حتى اخرج لي سوطه فجعل يضربني به وهو يقول خذها وانا ابن الاكرمين .

عمر : (مردداً في سخرية) خذها وانا ابن الاكرمين ! خذها وانا ابن الاكرمين ! ما

يقول ابنك في هذا يا عمرو ؟ اينكرُ أم يعترفُ ؟

عمرو : بل يعترف يا امير المؤمنين . قد اعترف لي بذلك ونحن في مصر لما سألتُه حين جاءني كتابُ امير المؤمنين .

عمر : أو ليس له لسان يجيب ؟

محمد : قد وقع ذلك مني يا امير المؤمنين وأنا نادمٌ وتائبٌ ولن أعودَ لمثلها .

عمر : قاتلك الله . ألا تعلم ان هذا في ذِمّتنا ؟ في ذمة الله وذمة رسوله وذمة المسلمين ؟ قم ايها الفتى فاضرِبْ ابن الاكرمين . (يلقي اليه بالدرة) اجلس امامه يا ابن الاكرمين وامتَثِلْ له !

(يجلس محمد بن عمرو امام داود ويبيده الدرة فيضربه داود)

عمر : اضربه يا داود واوجعه ! اضرب ابن

الاكرمين ! (ينهال داود عليه ضرباً وعمر يقول له) اضرب ابن الأكرمين !

داود : (يكف عن الضرب) يا امير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت

عمر : اجِلْها الآن على صلْعَة عمرو !

عمرو : يا امير المؤمنين ما ذنبي ؟

عمر : ما ذنبك ؟ هل جرؤَ ابنك على ضرْب هذا الفتى الا بسلطَانِك ؟ امتثل .

عمرو : امتثلت يا امير المؤمنين .

عمر : اجلها يا داود على صلعته .

داود : يا امير المؤمنين قد ضربت من ضربني وحسبي ذلك .

عمر : انك والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون انت الذي تدعه .

عمرو : يا امير المؤمنين قد استوفيت واستشفيت

عمر : ابا عمرو متى تعبَّدْتم الناس وقد ولدَتْهم

امّهَاتُهم احراراً؟ اصرِفْ ابنك هذا عني ثم عُدْ الي (يخرج عمرو وابنه محمد) اذا رجعت الى بلدك يا داود فرَابَك رَيْبٌ فاكتُبْ اليّ .

(يعود الفتى الى مجلسه ويعود عمرو بن العاص) .

ابو رافع : هل يأذن أمير المؤمنين للوفد فينصرفوا الى رحالهم ؟

عمر : كلا يا أبا رافع حتى نتحادَثَ معهم في أمر الخليج الذي نَقْتَرِحُ حفْرَه فهذا عمرو قد حضر فلنَبْدَأ حديثَنا في ذلك على مسمع منه .

عمرو : ألم تَتَّفقوا على شيء بعد يا أمير المؤمنين !

عمر : انا أجَّلْنا الحديث في الخليج حتى تحضر يا أبا عبدالله .

عمرو : نِعْمَ ما فعلت يا أمير المؤمنين وان كنتُ

زوّدْت أبا رافع بكل ما عندي من رأي في هذا الأمر .

عمر : ما تقولون يا معْشَرَ الوفد في حفر هذا الخليج من نيلكم حتى يسيل في البحر !

بطرس : يا أمير المؤمنين ان الخليج الذي تقترحُه قد كان موجوداً في الأزمنة السابقة ولكنه أهْمِل فرُدِمَ وفي الامكان اعادةُ حَفْره من جديد .

اصطفانوس : يا أمير المؤمنين ليس من رَأيِي أن تحفر ذلك الخليج .

عمر : كأنك ترى أن تحفرَ خليجاً جديداً غيرَ الخليج القديم !

اصطفانوس : كلا يا أمير المؤمنين . اني أرى ألا يُحْفَر خليجُ البتّه .

عمر : فِيمَ ويحك ! ألا تَرَى ما في ذلك من منافع لنا ولكم !

اصطفانوس : انه لو تَمَّ يا أمير المؤمنين فسيجعل سِعْر الطعام بالمدينة مثلَ سِعْرِه في مصر فينكَسِرُ الخراج بذلك .

عمر : علامَ ينكسرُ الخراج ! اننا لا نريد أن نأخذَ من مصر اكثر من القدر المتّفق بيننا وبين أهلها وما زاد على ذلك فبالثمن تجارة بين أهلها وبيننا فاي شيء تخافون ولماذا ينكسر الخراج !

بطرس : أما أنا فأرى أن الخليجَ سيزيد مصرَ رخاءً على رخاء اذ تنشَطُ وتتسع التجارة بينها وبين بلاد العرب وبلاد الهِنْد .

جرجس : أنا أيضاً أرى ذلك .

اصطفانوس : كلا يا أمير المؤمنين ان في ذلك خرابَ مصر .

عمر : ويحك افمن أجل خليج يصل النيلَ بالبحر وييسّر نقل السلع من بلادكم الى بلادنا تخرب مصر ! اذن فأخربَ الله

مصر في عمران المدينة ؟

بطرس : أعذره يا أمير المؤمنين فانه قليل المعرفة بهذه الشئون .

عمر : اصغ إليّ لعلي استطيع أن أبيّن لك . هل سمعتم بعام الرمادة إذ أصابنا قحط شديد استمر تسعة شهور !

اصطفانوس : نعم سمعنا بذلك .

عمر : لقد كان عندنا يومئذ ذهب لم يستطع أحد أن يحمله اليكم وعندكم ميرة لم يستطع أحد أن ينقلها الينا لبعد الشقة مع الجفاف الذي أهلك الزرع والظهر لودِدْتُ والله يا أهل مصر لو كان سبيل لتيسير النقل بين مصر والشام وبين مصر والعراق وبين هذه الأقطار الثلاثة وبيننا حتى يتبادل أهل هذه البلاد ما لديهم من السلع فيربو الخير عندهم جميعاً ويعم

الرخاء .

بطرس : هذا حسن يا أمير المؤمنين .

عمر : اني لأنظر الى هذه البلاد كأنها بلد واحد فلا ينبغي أن يجوع في بلد منها قوم ويشبع آخرون ولا ينبغي أن يجوع أهل بلد منها ويشبع أهل بلد آخر .

شنودة : وأهل الذمة فيها يا أمير المؤمنين !

عمر : أهل الذمة فيها كالمسلمين لا فرق بينهم وبين المسلمين .

شنودة : يا أمير المؤمنين انتم تجمعون من المسلمين الزكاة فحسب فعلام تجمعون منا الجزية والخراج .

عمر : الخراج انما هو على الأرض لا عليكم .

شنودة : ولو ملكها رجل مسلم ؟

عمر : ولو ملكها رجل مسلم ولكني قد منعت المسلمين العرب أن يبتاعوا من أرض مصر حتى لا يزاحموكم في أرضكم ولا يشغلهم

شاغلٌ عما أوجبه الله عليهم من الجهاد عنكم وحِمايةِ دياركم .

شنودة : والذين يُسلِمُون منا يا أمير المؤمنين ؟

عمر : تسقطُ عنهم الجِزْيَةُ .

شنودة : ولا يسقط عنهم الخراجُ ؟

عمر : لا .. الخراج على الارض .

شنودة : وفقراؤنا يا أمير المؤمنين اليس لهم نصيب في الصدقة ؟

عمر : بلى لهم فيها نصيبٌ . ان الصدقَةَ على الفقراء والمساكين .. الفقراء من المسلمين والمساكين من أهل الكتاب .

شنوده : والعطاء يا أمير المؤمنين ؟

عمر : العطاءُ للمسلمين خاصّة لأنهم مجندون للجهاد والمُرابَطَة في الثُغور والحدود ، أما الذمّيونَ فيعملون في ارضِهم ويعملون في متاجرهم ويعملون في صناعتهم

فيكسَبُون من ذلك ، ولذلك لا نفرضُ لهم عطاءً اللهم الا للمساكينَ منهم والمعوزين .

شنوده : فاحفر الخليج اذن يا امير المؤمنين في مصر وأقم بها ما تراه من المَرافِقِ والمصالح فلن يضارَّ اهلُ مصر شيئاً ما سِرتم في سياستها على هذا النهج .

بطرس : وانت يا اصطفانوس آن لك ان تُوافِق على رأينا .

اصطفانوس : قد وافقت الساعة

عمر : الحمد لله . بَقِي عليكم الآن أن تعاونوا صاحبَكم عمراً على ذلك .

الوفد : سنفعل يا أمير المؤمنين . سنعاونه بكل ما أوتينا من قوة .

عمر : اذن فاني أرجو يا عمرو أن لا يأتيَ عليك الحولُ حتى تفرغ منه ان شاء الله .

عمرو : ان شاء الله يا أمير المؤمنين .

عمر : هل لك يا عمرو أن تتركني معهم قليلاً

حتى ندعوك ؟

عمرو : حباً وكرامة (يخرج) .

عمر : ماذا ترون في عمرو بن العاص ! ان شئتم اخترت لكم والياً آخر مكانه .

الوفد : يا أمير المؤمنين لا نريد به بَدِيلاً وبِطَريقنا الاكبر بنيامين يحبه ولا يريد به بديلاً .

عمر : اني باعثٌ اليكم من هو خير من عمرو .

الوفد : يا أمير المؤمنين أنت وما تريد ولكنا نعرف عمراً ولا نعرف الآخر فالذي نعرفه خير لنا من الذي لا نعرفه .

عمر : (ينادي) هلم يا عمرو بن العاص .

عمرو : لبيك يا أمير المؤمنين . (يعود)

عمر : انك لذو حظٍّ عظيم . أن أهلَ مصر ليحبونك ولا يريدون بك بَدِيلاً فعليك باهلك وأولادك فادبهم وشدّد عليهم ان يتواضَعُوا للناس ولا يترفّعُوا عليهم فان العظَمَة لله وحده .

المشهد الرابع

في بيت عمر بالمدينة

يرى سعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف جالسين في جانب ، وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص في جانب آخر وهم يتطلعون الى باب الدخول حيث يرى أسلم واقفاً دونه .

خالد : أين امير المؤمنين يا اسلم ؟ ما باله تأخر !

عمرو : قلت لنا آنفاً انه سيعود وَشِيكاً .

اسلم : هو الذي امرني بذلك . قال لي ان جاء عمرو بن العاص فقُل له ينتظرني فاني عائِدٌ عما قليل .

خالد : ها نحن اولاء انتظرنا طويلاً ولم يعُد . يا ليتني زُرْتُ اولاً بيت اختي فاطمة .

سعد : (بادياً في وجهه الغضب) لعله علم بحضوري فكَرِه ان يلقاني .

ابن عوف : أو ليس هو الذي أرسل في طلبك !

سعد : بلى أرسل في طلبي ليؤنّبني . والله لأكوننّ انا الذي أؤنبه .

خالد : هوِّن عليك يا ابا اسحاق .

سعد : (ثائراً) هوِّن عليك ! فهلاّ هوّنت على نفسك يا أبا سليمان يوم عَزلكَ !

خالد : لو فعلت لكان خيراً لي .

سعد : لكنك ما فعلت .

خالد : لذلك ندِمْت فاشفقت عليك ان تقعَ في مثلِ ما وقعتُ فيه .

سعد : ان امري مختلِف عن امرك . لقد رأيتُني يوماً وانا خُمُس الاسلام ، واليوم يصدّق عُمرُ أو شابَ بني أسَد فيّ .

عمرو : ما اخالُه صدّقهم يا ابا اسحاق .

سعد : فما باله خَلّى سبيلهم وعَزلَني !

عمرو : درءاً للفتنة وحرصاً على اجتماع الكلمة .

سعد : لحاكَ الله يا ابن العاص . هؤلاء الطَّغام هم الذين أشعَلُوا الفتنةَ وفرّقُوا الكلمةَ .

ابن عوف : لا حول ولا قوة الا بالله . كلُّ هذا من جُفَيْنة .

سعد : وما شأن جفينة !

ابن عوف : هو الذي حمّسَك وحرّضَك .

خالد : ومَنْ جفينة !

ابن عوف : عِلْجٌ من علوج الجزيرة اسلمَ حديثاً على يَدِ سعد .

سعد : اني احرّج عليك يا ابن عوف ان تَشْتُمَ صاحبي .

ابن عوف : انه ليس من نُظَرائك فتتخذُه صاحباً لك .

سعد : هذا شأني يا عبد الرحمن وليس من شانك .

ابن عوف : فازْجره اذن اذا دخل فيما لا يَعْنيه من امْرِك .

سعد : انه رجل صالح وليس كما ظننت .

عمر : ها هوذا اميرُ المؤمنين قد جاء .

(يدخل عمر)

عمر : السلام عليكم

خالد : وعليك السلام يا أمير المؤمنين ورحمة الله .

عمر : ابو سليمان !. مرحباً بـــك في المدينة يا ابا سليمان ! كيف تركت اهلَ الشام ؟

خالد : (مبتسماً) سلْ بهم غيري يا امير المؤمنين فقد اراحني الله من كل ذلك .

عمر : صدقت يا خالد لقد اراحكَ الله من كل ذلك.

خالد : اين كنت يـــا امير المؤمنين فقد حبسْتَنا طويلاً ننتظرك !

عمر : اعذروني يا قوم . غداً يذهَبُ بريدُ العراق وطائفةٌ من نساء المهاجرين لم يكتبْ لهن

احـــدٌ الى ازواجهن وذويهن في العراق فكتبتُ لهنّ اليوم . مرحباً مرحباً بكم ما اسعدني ان يجتمع اليوم عنـــدي ثلاثةٌ من ابطال المسلمين شامي وعراقي ومصري .

سعد : يا امير المؤمنين لا تذْكرني بعدُ فقد عزلْتَني من أجل أولئك الطَّغَام من بني أسد .

عمر : مهلاً يا ابن ابي وقاص . ما قوارصُ تبلغني بعدُ منك ! أليس قد فرغنا من ذلـــك وقضَيْنا ما قضَيْنا فيه ، وانتهيتَ من سَخَطِك الى رِضىً واقتناع .

سعد : هيهات يا عمر ما زلتُ على سَخَطِي حتى تُنْصِفَني من أولئك الكذَبَة الفسَقَة !

عمر : لقد كذَّبتُهم وصدَّقتُك فأيَّ نَصِفَة تريد بعدُ يا سعد !

سعد : كذّبتَهم بلسانِكَ يا أمير المؤمنين ولكنك شدّقتُهم بفعلك .

عمر : تعني العَزْل !

سعد : نعم .

عمر : ويحك يا أبا اسحاق بلساني قضَيْتُ عليهم لك . فأما العزْلُ فليس لهم وليس عليك وانما هو لخير المسلمين .

سعد : كلا يا امير المؤمنين لا رَيْب عندي الآن أن القومَ تواطأوا على ذلك مع العدو لتنحِيتي من أمرة جيش العراق إبانَ الحملة التي يحشدون الحشُودَ لها اليوم .

عمر : أنَّى لك هذا يا أبا اسحاق ! هذا أمرٌ عظيم.

سعد : انهم قوم سُوءٍ يا أمير المؤمنين لا وازِع لهم من دِينٍ ولا مُرُوءةٍ .

عمر : هذا أمر عظيم . لا سبيلَ لك عليهم الا ببُرْهان .

سعد : ومن لك بالبرهان الذي تريد ! انما تُقْضَى مثلَ هذه الامورُ في السر وتحتَ

الكِتْمان الشديد .

عمر : فكيف غَفَلْتَ عن ذلك اذْ كنْتَ معهم في العراق ؟

سعد : ما كنت غافِلا يا امير المؤمنين ولكن اعوَزَني الدليلُ .

عمر : ولم تُشِرْ الى ذلك يوم المحاكمة .

سعد : لقد اطارَ الغضبُ يومئذ من رأسي كلَّ شيء .

عمر : فماذا تريد مني اليوم ان أصْنع !

سعد : اجعلني على إمرة جيشِ العراق وخلاكَ ذمٌّ .

عمر : كلا لا أواجه جموعَ فارسَ برجل يطيّرُ الغضبُ من رأسه كلَّ شيء .

سعد : انت الذي استفزَزْتني ما استَفزّني للغضَبِ سِواك .

عمر : سامحك الله يا أبا إسحاق .

سعد : ليست هذه أولَ هَضِيمه نالَتْني منك . لقد

قاسمْتَني مالي إذقال لك قائلٌ اني اثْرَيْت وفَشَا لي مـــالٌ ، فسكتٌ ولم اعترِضْ واحتسبْت اجري عند الله ، ولكنك استمرأتَها فما ان نَقَل لك ناقلٌ ، ان لي قصراً سميتُه قصر سعد وجعلت له باباً يمنع عني الصويت حتى سرّحت صاحبَك الي فما سلّم عليّ ولا كلّمني حتى عَمَدَ الى الباب فأحرقَه !

عمر : ويحك لقد علمتُ اني إنّما امرت محمداً بن مسلمة بذلك ليتسامع كلُّ عمالي بالعراق وغيره بما حدث لك فلا تحدّث أحداً منهم نفسُه أن يتّخذ لنفسه باباً دون الناس .

سعد : ثم أرسلتَه لي آخر مرة ليطوف بي على أهل الكوفة من مسجد الى مسجد ومن نادٍ الى نادٍ يسألهم عن سيرتي كأني رجـــلُ سوءٍ موصومٍ أو مظنونٍ في دينِه أو امانتِه.

عمر : وأي باس في ذلك عليك؟ لقد كانوا يقولون

عنك : ما نعلم الا خيراً فهي شهادةٌ لك الا ما كان من الجرّاحِ وجماعَتِه .

سعد : فقد كذبت أهل الكوفة جميعاً وما صدّقت إلا الجراحَ وجماعَته .

(يدخل أسلم)

أسلم : يا أمير المؤمنين رجل بالباب يستأذن عليك قد شَحُبَ لونُه وأغبرّ وجهُه وطال شعرُه .

عمر : ألم تسأله من يكون !

أسلم : سألته فلم يجبني وقال ان أمير المؤمنين يعرفه. انه يحمل جرابَه وأداوتَه وعنزتَه كأنما جاء من سفر .

عمير : (صوته من خارج الباب) أنا عُمَيرُ بن سعد .

عمر : أدخل يا عمير بن سعد .

عمير : (يدخل) السلام عليـــك يا أمير المؤمنين

ورحمة الله وبركاته .

عمر : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته . ويحك يا عميرُ بن سعد . ما هذه الهيئة ! ما شأنك!

عمير : ما تنكر يا أمير المؤمنين من هيئتي وشأني ! ألست تراني صحيحَ البدن ، ظاهرَ الدمَ معي الدنيا اجرُّها بقرنها !

عمر : ساخطٌ جديد !اللهم اكفني شرّ الساخطين؟

عمير : بل مُعذِر من نفسه، مُسْتَقِيل من عمله، جاعلٌ بينك وبينه الله حكَماً وشهيداً ، ألاَ أنه بكل شيء محيطٌ .

عمر : وما الذي معك هل جئت لنا بشيء !

عمير : ما جئت يا امير المؤمنين بغير ما تَرَى : جِرَاب اجعلُ فيه زادي وادَاوةٌ احمل فيها وضوئي وشرابي وعنْزَة أتوكّا عليها وأجاهد بها عدواً إن عرَضَ .

عمر : ويحك افَجِئْت تمشي من حِمْص !

عمير : نعم امرْتَني في كتابك اليّ ان اقبلَ في الحال وما كانت عندي دابّةٌ اركبها فركِبْت قدَمَيّ .

عمر : اما كان فيهم احدٌ يتبرّعُ لك بدابّةٍ تركبُها !

عمير : ما فعلوا وما سألتُهم ذلك .

عمر : بئس المسلمُون خرجْتَ من عندهم !

عمير : يا عمر ان الله قد نهاكَ عن الغيبَة .

عمر : اني امرتك ان تُقْبلَ بما جَبَيْتَ من فَيء المسلمين فاين هو !

عمير لو كان لك شيء لأتَيْتُ به .

عمر : عجباً .. لقد مضَى عليك حولٌ منذ ولّيتُك على حمص فاي شيء منعت !

عمير : الاَ تَثِقُ بي يا امير المؤمنين وتَكِلُ امري الى الله !

عمر : سبحان الله . هذا عملي وعلي ان احِيطَ به .

عمير : اخشى يا امير المؤمنين ان يغمّك اذا سمعتَه .

عمر : هات ويلك . لأن يغمّني اليوم خير من ان يغمني يوم القيامة .

عمير : انك بعثتني حتى اتيتُ البلدَ فجمعت صُلحاءَ اهلِها فوليّتهم جِبايةَ فيئهم حتى اذا جمعوه امرتهم فوضعوه مواضِعَه .

عمر : بيّنْ ويلك كيف وضعوه مواضِعَه !

عمير : انفقوه لخير البلدة في اصلاحِ طرُقِها وكرى تُرُعها وتَرْميم اسوارها وتعليم جُهّالِها واطعام جائِعيها واعانة فقرائها ومساكينها من مسلمين وذميين .

عمر : ان يكنْ هذا الذي فعلت فلعمري لقد احسنت ففيم لم تكتبْ اليّ بذلك !

عمير : ظننت انك بعثتني لذلك ولم يحدُثْ عندي

من شيءٍ جديد فاخبرُك به

عمر : فما جئتَنا بشيء !

عمير : لو فضل من ذلك شيءٌ لأتيتك به .

عمر : لقد ظننت بك ظنّاً يا عمير والله يغفرُ لي ولك . أما وقد بيّنتَ لي ما بيّنتَ فتهيّأ للعودة الى حمص فاني سأجدّدُ لك عهْداً .

عمير : كلا يا امير المؤمنين ان ذلك لشيءٌ مضى لا عَمِلتُ لكَ ولا لأحد من بعدكَ ابداً . ائذَن لي يا امير المؤمنين (ينهض) .

عمر : الى اين !

عمير : الى منزِلي واهلي .

عمر : البثْ لدينا قليلاً بعد .

عمر : ان اهلي على اميالٍ من المدينة فأريدُ ان اصِلَ اليهم قبل ان يُدركَني الليلُ .

عمر : اذهب مصاحباً يا عمير بن سعد .

(يخرج عمير)

عمرو : ما رأيت كاليوم عجباً يا أمير المؤمنين .

عمر : والله ان كان صادقاً في زُهْدِه هذا فهو خيرُ الناس .

عمرو : اتشُكّ يا أمير المؤمنين في صدقه !

عمر : اني لأرجُو ان يكونَ صادقاً ولكنّ الشيطان كثيراً ما يُلْبِسُ الباطلَ ثوبَ الحق ، وقد استعاذَ رَسُول الله من كل مُنافِقٍ عليم اللسان . ماذا تعرف عنه يا خالدُ !

خالد : ما أعلم عنه إلا خيراً يا أمير المؤمنين . ان أهلَ حمص ليُثنون عليه قريباً من ثنائهم على أبي عبيدة رحمه الله .

عمر : يرحم الله أبا عبيدة . أين في الناس مثلُه أو قريبٌ منه ! ما تركت الدنيا أحداً الا غيّرتْه ما خلا أبا عبيدة !

سعد : ذلك ان اللهَ توفاه الى رحمته ولو عاش ما

سَلِمَ منك يا عمرُ !

عمر : (في رقة) أبا اسحاق بأبي أنت وأمي كيف السبيلُ الى رِضائِك !

سعد : كلا لا تجمعْ لي أبويّ يا عمر فقد جمعهما لي من هو خيرٌ منك !

عمر : ويحك يا خالَ رسولِ الله اليس لنا في رسول الله اسوةٌ حسنة ؟

سعد : انك يا ابن الخطاب تأبى إلا ان تتهضّمني في كل شيء . هذا الرداءُ الذي أعطيتنيه امس . (يبرز له ثوباً في يده)

عمر : ما باله ؟

سعد : تكسُوني هذا وتكسُو إبن أخي مِسْوَراً افضلَ منه

ابن عوف : او قد ظننت يا أبا اسحاق ان أمير المؤمنين فضل مِسْوَراً عليك ؟

سعد : لا غروْ إن سرك ذلك فهو ابن اختك ؟

ابن عوف : ان شئتَ امرت ابن اختي فدفعَ لك الرداءَ الذي معه بالرداءِ الذي معك

سعد : (ثائراً) ما أفيلَ رأيَك يا ابن عوف . أُتراني من اجل الرداء ذاته غضبتُ ؟ انما أغضبني أن يعمد عمر الى اذلالي واهواني .

عمر : معاذ الله يا أبا اسحاق والذي نفسُ عمرَ بيده ما قصدت ذلك ولا خطَر لي على بال

ابن عوف : قد حلف لك امير المؤمنين يا سعد فماذا تريد بعد ؟

سعد : لكني قد اقسمت امس يا أمير المؤمنين لاضربن بهذا الرِّداء رأسَك

عمر : اذن فافعل وأبرِرْ قسمك يا أبا اسحاق (يخضع له رأسه) ولْيرْفقْ الشيخُ بالشيخِ !

سعد : (يضرب رأس عمر بالرداء ثم ينكفىء عليه يقبله وهو يبكي) والله ليس فينا مثلُك يا

عمر ! أفٍّ للناس من بعدك يا عمر !

عمر : (يعانقه) صدق رسول الله ﷺ إذ قال : هذا خالي فلْيُرِني امرؤ خاله ! (ينهض كالمؤذن بالانصراف فينهض الجميع)

خالد : اني أنتظر زيارتك يا أمير المؤمنين في بيت أمي .

عمر : ان شاء الله يا ابا سليمان .

(يخرج خالد)

سعد : سامحني يا امير المؤمنين .

عمر : قد فعلت يا أبا اسحاق

(يخرج سعد وعبد الرحمن بن عوف)

عمرو : وأنا يا أمير المؤمنين الا تفصلُ في أمري فأعودُ الى مصر ؟ ها قد اتاك اللهُ بخالد بن الوليد فعليك به فوالله ليُذْهِبَنّ الله به وساوسَ الشيطان عن الفُرسِ كما أذهبَ به وساوسَ الشيطان عن الروم .

عمر : لكني أوثرك انت يا عمرو فحربُك حربٌ هينة لينة

عمرو : لعل اولئك الاعاجمَ يا أمير المؤمنين لا تصلح لهم الحربُ الهينة اللينة .

عمر : بلى يا ابن العاص ان الرِّفقَ دائماً افضل من العُنْفِ واني لا اريد ان يبغضنا هؤلاء الاعاجم عسى ان يقذفَ اللهُ في قلوبهم الايمانَ فيُسلِموا وليس لذلك غيرُكَ . والله ما انسى حديثَ الايام الثلاثة التي عرضت فيها المسلمين في مختلف احوالهم على القبط حالاً بعد حال .

عمرو : أعجبك ذلك يا أمير المؤمنين ؟

عمر : اعجبني ؟ اني لأحدِّث به السُمَّارَ في مجلسي يا عمرو ؟

عمرو : فذلك أحرى يا امير المؤمنين ان تدعني في مصر أسد فتوقها وأنظم امورها فوالله ما

الذي نستقبله اليوم من سِلمها بأيسر مما استدْبرناه من حربها . فان مكايدَ الروم ما زالت تُحاكُ في برها وبحرها . ونحن ما زلنا نبني الفُسطاطَ والاسكندريةُ لم تُفتَح لنا أبوابها الا منذ شهر واحد ، وهذا الخليجِ الذي أشرْتَ بحفره ، وقد رأيت تعلُّق القبط بي وميلهم الي .

عمر : (بعد صمت يسير) ولكني اخشى من سَطْوَة خالدٍ فان في سيفِه رَهَقاً .

عمرو : يا أمير المؤمنين ليس مثلي من يَصِفُ مثلَ خالد لمِثْلك ، ولكنّ خالداً يجمعُ في حربه بين الحِيلَة والبطْش . وهذه الجموع التي حشَدها يزدجرد في الجبال والآطام لا يقوى عليها الا من يجمع بين هاتين الخصلتَيْن ومن لك يا أمير المؤمنين بمثل خالد . والله لقد سمعت كثيراً من القِبْط يسألونني عنه ولا يصدِّقون انه حيٌّ بعد ؟

عمر : اني سانظر في ذلك يا عمرو فاكتمه عني .

عمرو : اتأذن لي الآن يـــا أمير المؤمنين ان استعد للسفر ؟

عمر : اذا شئت يا عمرو .

***

المشهد الخامس

في بيت عمر بالمدينة

خالد : ارسلت في طلبي يا أمير المؤمنين ؟

عمر : نعم يا أبا سليمان

خالد : الحمدُ لله اصبحَ لا يُقلقُني طلَبُك يا عمر اذْ اصبحتُ لا اخشى ان تعزِلَـني او تقاسِمَني مالي !

عمر : الحمد لله اذ مَسَحَ عن نفسك الضغن يا خالد فصِرْتَ لي مُحِباً وحبيباً أيّ حبيب

خالد : انما يحْرصُ على الحب النساءُ يا عمر . لقد قتَلْتَني يا ابن الخطاب !

عمر : ويلك ما تقول ؟

خالد : ايّما رجل قطعتَه عن عمله فقد قَتلْتَه . الا تذكر يا عمر كيف كدْتُ اموتُ غمّاً في عهد ابي بكر اذ تركني سَنَةً بعد فتْح الحِيرة لا اعمل شيئاً ؟

عمر : تلك السَّنَة التي سَمَّيْتَها سَنَةَ نِساء ؟

خالد : اجل اما انت فقد زدْتَ في ذلك على ابي بكر كما زدْتَ عليه في كل شيء

عمر : كلا يا خالد يأبى اللهُ ان اتقدَّمَ على ابي بكر

خالد : انما تركني ابو بكر سنة وتركتني انت اربع لا احملُ سلاحي الا للصَّيد ، وكلما سمعت بغزْوة للمسلمين في العراق او في مصر تقطع قلبي شوقاً الى اعِنّة الخيل ، حتى اذا فتح اللهُ عليهم حمدت الله عز وجل وقلت لنفسي لقد صدق ابن حنتمة : النصر بيد الله يؤتيه المسلمين ولا يؤتيه خالداً ولا ولا أبا عبيدة .

عمر : (بصوت يخالطه البكاء) ما كنت اعلمُ يا ابا سليمان انك تحمل كلَّ هذا الهَمِّ من اجل ذلك . لقد بلغني انك تَدْرُسُ القرآن فظننتك قد وجدْتَ ما يُغْنِيك عن رُكوب الخيل وسُرَى الليل ومعاناة الوَيْل .

خالد : اني لأدرس القرآن حقاً يا أمير المؤمنين ولكن ما غَناءُ ذلك لي وانا قد شَبَبْت على الحرب والقتال ؟ والله ان اصغر رجل في الانصار او المهاجرين ليفقهُ في القرآن خيراً مني ولا اذكرُ عبدالله بن عباس ولا المِسْوَر بن مَخْرَمة !

عمر : لو كنت اقمت بيننا في المدينة لوجدْتَ عملاً كثيراً ولضممْناك الى اهلِ الشُّورى

خالد : مع طلحة وعثمان وعلي وابن عوف ؟ كلا يا عمر ليس هؤلاء باقراني ولا رفاقي انما رفاقي واقراني هاشم بن عتبة والقَعْقاع بن عمرو ورافع بن عميرة وقيس بن مكشوح وقد

فرقت بيني وبينهم يا عمر !

عمر : لو اقمت لأشرتَ علينا في شؤون الحرب فليس في اهل الشورى من يُغني غَناءَك

خالد : يا أمير المؤمنين ليس القول كالفعال. وعندك اليوم سعد بن ابي وقاص قد سحَبْتَه مثلي من الميدان وضممته الى اهل شوراك .

عمر : ما يدريك يا ابا سليمان لعلي ارسلك مرة اخرى الى الميدان .

خالد : (يفرح فرحاً شديداً) احقاً يا عمر ؟ احقاً يا ابن الخطاب ؟

عمر : نعم يا خالد

خالد : آه لو بعثْتَني في أرض الروم ! لأفتَحَنّ للمسلمين القسطنطينية

عمر : كلا يا خالد قد سالَمْتنا الروم منذ وفاة هرقل فلا نريد ان تقومَ بيننا وبينها حربٌ

خالد : يا أمير المؤمنين قد فتح سعد المدائن وفتح

عمرو الاسكندرية فدعني افتح القسطنطينية .

عمر : اني باعثُك الى فارس يا خالد فان يزدجرد ما زال يساورُنا ويؤلِّبُ علينا ويحرّض ويجمع . ها هو ذا قد حشَدَ الحشود في نَهاوَنْد. مائة وخمسين الفَ مقاتلٍ . فهل أنت فاعلٌ ؟

خالد : الى الميادين تبعثُني يا امير المؤمنين وتسألني هل انا فاعلٌ ؟ لقد أحيَيْتَني اليوم والله ورجعتَ الي شبابي !

(يدخل اسلم)

أسلم : عمير بن سعد يا أمير المؤمنين

عمر : ادخل يا عمير

(يدخل عمير بن سعد)

عمير : السلام عليك يا أمير المؤمنين

عمر : وعليك السلام

عمير : أتدري لماذا جئتُ ؟ اني أشكوك الى الله الذي هو فوقَك

عمر : فيم يا عمير ؟

عمير : ألم يكْفِك ما قد كلفتنيه من المشقّة والجَهْد اذ جئتك ماشياً من حمص حتى تختَبِرَني وتبعثَ الجَواسيسَ من خلفي؟

عمر : ما بعثتُ إلا رجلاً صالحاً لينزِلَ ضيفاً عندك فهل أجهَدَكَ ؟

عمير : لو كان ضيفاً حقاً لما شقّ علينا أن نطوي انا والعيال فنخصّه هو بما عندنا من قُرصةِ الشعير. ولكنه كان مبعوثاً منك ليتجسس عليّ فقد جمعتَ يا امير المؤمنين بين ايذائي وايذاء عيالي وبين اتّهامي في ديني وامانَتي.

عمر : هبْ لي ذلك يا عمير فوالله لقد كنت أحبُّك واخشى عليك وعلى نفسي منك، فالحمدُ لله إذ أظهر الله لي انك صادقٌ أمينٌ

وان باطِنَك مثلَ ظاهِرِك فخبّرني ما ما صنعتَ بالدّنانير التي ارسلتها اليك ؟

عمير : ما سؤالُك عنها ؟ صنعت بها ما صنعت

عمر : أنشدك اللهَ الا ما أخبرتني

عمير : قدّمتُها لنفسي يا عمر

عمر : فيمن يا عمير ؟

عمير : في أبناءِ الشُّهَداءِ والفقراءِ

عمر : بوركت يا عمير بن سعد . والله لا أتركك حتى تعودَ الى عملك بحمص وتأخذَ معك أهلكَ .

عمير : يا أمير المؤمنين أعفني !

عمر : كلا والله لا أعفيك أبداً . الويلُ لنا اذا استعفى الخيارُ ووَلِيَ لنا الاشرارُ .

عمير : اعزيمةٌ يا أمير المؤمنين ام خيارٌ ؟

عمر : بل عزيمة !

عمير : قد أمرنا الله بطاعةِ اولي الامر ولولا ذلك ما أطعتُكَ .

عمر : يا يرفأ مُرْ لعمير بن سعد بوَسْقٍ من طعام .

عمير : أما الطعام فلا حاجة لي اليه قد تركت في المنزل صاعَيْن من شعيرٍ ولكنّ امَّ سعد لا ثِيابَ لها فلو أمرْتَ لها بثوب .

عمر : بل ثوبين . مُرْ له يا يرفأ بثوبين لامرأته .

(يخرج عمير مع يرفأ)

خالد : ألم أقلْ لك يا أمير المؤمنين ان اهلَ حمص يُثْنُون عليه ؟

عمر : والله انهم لعَلَى حَقٍّ .

خالد : انه من الطراز الذي يُعْجِبُك

عمر : اجل لودِدْتُ والله لو ان لي ملءَ مسجد رسول الله رِجالاً مثل عمير بن سعد استعينُ بهم على اعمال المسلمين !

المشهد السادس

بيت أم خالد بن الوليد بالمدينة
يرى خالد مريضاً على فراشه وعنده والدته لُبَابَة بنت الحارث واخته فاطمةبنت الوليد وأم حكيم زوجة عمر وفاطمة بنت الخطاب

أم حكيم : كيف تجدُكَ اليوم يا خالي ؟

خالد : الحمد لله يا أم حكيم

فاطمة : لا بأسَ عليك يا أبا سليمان

خالد : لا بأس ان شاء الله . إنما عَجَبي والله من هذه العلّةِ كيف تَأْتِيني بعد ما بَشَّرَني أمير المؤمنين بان سَيُرْسِلُني إلى فارس لأفضَّ جموعهم في نهاوند !

أم حكيم : لقد قلت لي يومئذ يا خالي انك استردت شبابك

خالد : أجل والله لقد شعرت يومئذ كأنما ارتددت إلى الماضي عشرين سنة . ولكن الأمر كله لله لا يملك أحدنا حولاً ولا قوة .

أم خالد : هذا وجع معروف عندنا في البادية يعتري المرء عندما يفاجئه حزن شديد أو مسرة طاغية .

خالد : (مداعباً) أتريدين يا أمه ان تلقي التبعة على أمير المؤمنين ؟

أم خالد : لا يا بني ولكني ارسلت في طلب الطبيب من البادية وغداً يجيء ويعالجك فيشفيك ان شاء الله .

خالد : الله هو الشافي يا أمه لا طبيب البادية ولا طبيب الحضر

أم خالد : يا بني كل داء له دواء

خالد : بل كل شيء بارادة الله وقدرته . لقد رأيتني في الحيرة وقد خرج عبد المسيح ابن بقيلة يفاوضني فرأيت في يده شيئاً قلت ما هذا ؟ قال هذا سم ساعة فان انت اعطيتني ما اريد وإلا شربته فلا ارجع الى قومي بما لا يحبون . فاخذت السم من يده وقلت باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم، وابتلعته فرجع ابن بقيلة الى قومه وهو يقول : جئتكم من عند قوم لا يعمل فيهم السم !

أم حكيم : ولم تشعر بأي شيء من ذلك السم ؟

خالد : اللهم لا إلا ان جبيني ارفض عرقاً غزيراً واحمر وجهي فكأنما خرجت من دياس .

أم خالد : هذا امير المؤمنين يا بني جاء يعودك .

(يدخل عمر)

عمر : السلام عليكم .

خالد : وعليك السلام يا أمير المؤمنين (يحاول ان ان ينهض من فراشه)

عمر : مكانَكَ يا ابا سليمان . لا تُجهِدْ نفسك . لا بأس عليك ان شاء الله

خالد : مرحباً بك يا امير المؤمنين. ومرحباً بالعِلَّة ان كانت هي التي جاءت بك !

عمر : بل شفاك الله وعافاك يا ابا سليمان ولولا شئون المسلمين لوجدتَني ازوركم كل يوم

خالد : (مداعِباً) اجل الفضلُ لأم حكيم

عمر : لقد كنا نزورُكم يا خالد قبل ام حكيم

خالد : صدقت يا عمر . انت لم تتغيَّرْ ولكنا نحن الذين تغيرنا .

عمر : ماذا تعني يا خالد ؟

خالد : ان زواجك من ام حكيم قد ابعدَني من حيث قرّبك .

اخت خالد : انه يعنيني انا يا امير المؤمنين

خالد : اجل كانت فاطمةُ بنتُ الوليد معي عليك فاصبحَتْ اليوم معك عليّ !

ام حكيم : ما هذا الذي تقول يا خال ؟ وهل بقي بينك وبين امير المؤمنين من شيء ؟

خالد : كلا ما بقي بيني وبين امير المؤمنين الا الخيرُ ولكن امَّك صارت تُؤثِره عليّ من اجلك

اخت خالد : اتدرِي يا اميرَ المؤمنين لماذا يقول عليّ ذلك ؟ لانه يُلِحّ عليّ ان اقيمَ معه بالشام وانا قد كرهت الشامَ منذ ذَهَب الطاعونُ بالحارث زوجي وسبعين من أهل بيته لم يبقَ منهم غيرُ اربعة وكان ينبغي ان يكرهَها هو أيضاً اذ فَقَد في ذلك الطاعون اربعين من وَلَده .

خالد : ايعودون الى الحياة يا فاطمة ان كرهت الشامَ واقمتُ بالمدينة ؟

اخت خالد : وهل يعودون الى الحياة ان اقمت بالشام ؟

خالد : يا أُخيّة اني قد الفت هواءَ حمص !

ام خالد : انا اعرِفُ لماذا لا يريد ان يقيمَ في المدينة . لأن ام تميم لا تُطيقُني .

خالد : لا شانَ لأم تميم بذلك يا اماه

ام خالد : بلَى هي السببُ في ذلك هي السبب في كل ما اصابك واصابَنا معك . لقد كانت شُؤْماً عليك منذ بنيتَ بها على غير رِضَا المسلمين .

عمر : على رسلك يا ام خالد . ذلك امرٌ قد مضَى وانقضَى ودارَ به الزمان

ام خالد : لكنّ عقابيلَه يا امير المؤمنين باقيةٌ لم تزَلْ

خالد : سامحَكِ اللهُ يا أماه أما انها لتُثْني عليك خيراً من هذا

أم خالد : كلا لا أريد ثناءها ماذا اصنع بثنائها ؟

خالد : ان كنت تزهدين في ثنائها فانت في قربها أزهدُ .

أم خالد : لكني لا أزهدُ في قُربكَ ولولاها لما آثرْتَ حِمصَ على المدينة وليس لك بحمص من شُغْلٍ ولا عَمَلٍ .

أخت خالد : والله يا خالة لقد تجنَّيْتِ عليها وعليه . اني اعرفُ لماذا يؤْثِرُ اخي الشام ،ليس من اجل ام تميم او غير ام تميم بل من اجل الصَّيد .

أم خالد : وما يمنعه من الصيد هنا ؟

أخت خالد : أين الصيدُ هنا من غابات الشام وأحراجِه وأدْغالِه ؟

خالد : صدقت يا فاطمة اني لا استطيع ان اعيشَ على الرَّاحة والجُمام .

عمر : غداً تعود إلى ميادين القتال في سبيلِ الله يا أبا سليمان

خالد : واشوْقاه يا أمير المؤمنين إلى ميادين القتال! إني مسافر غداً إلى حمص لأقْضِي فيها جمعتين أو ثلاث جُمَع ثم أعود إليكم صحيحاً سليماً إن شاء الله

أم خالد : كلا . لا تأذن له في المسير يا أمير المؤمنين حتى يبرأ أولاً من علّته .

خالد : إنما سفري هذا يا أماه من أجل أن أبرأ من علتي

أم خالد : فانتظر حتى يجيء الطبيبُ الذي ارسلتُ في طلبهِ من البادية

خالد : وماذا عسى ان يصنع لي الطبيبُ ؟ إن هواء الشام لأنفع لي من كل طبيبٍ . هل لكنّ أن تخلّينني مع أمير المؤمنين؟

النسوة : حباً وكرامة (يخرجن)

خالد : أدنُ مني قليلاً يا أمير المؤمنين (يدنو منه عمر) لقد كتمتُهنّ ما بي لئلا يجزعن عليّ . أني يا أمير المؤمنين مريضٌ بمرضٍ وما اخالني أعيشُ حتى أقودَ جنودَ المسلمين إلى نهاوند

عمر : مهلاً يا أبا سليمان لا ينبغي أن تتوهم ما ليس بحق

خالد : أنا أعرفُ نفسي يا عمر . ما مرّ بي قط في حياتي مثلُ هذا الوجع وإنه قاتلي لا محالة

عمر : بل ستقوم من علتك هذه يا خالد

خالد : هيهات ! إذا أنا مِتُّ يا عمر فكن أنتَ وصيي فليس لي غيرُك ، واجعل داري في المدينة صدقةً (يترقرق الدمع في عيني عمر) كلا لا تبكِ يا أبا حفصٍ لا تدعْ النسوةَ يعرفن ما بي فلا أخلُصُ منهن .

عمر : أفليستْ المدينة خيراً لك يا أبا سليمان ؟

خالد : المدينة خيرٌ من كل بلاد الأرض ما خلا مكّةَ يا أمير المؤمنين ، ولكني أريد أن يكون قبري في أرضٍ اشتركتُ في فتحِها مع المسلمين عسى أن تشهدَ لي يومَ الدّين فيغفرُ لي ربي ويرحمني فهو أرحمُ الراحمين .

— ستار —